مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

1 إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

كيف سيطرت اسرائيل على السودان

1 – مقدمة:

لقد كان الرئيس التونسي قيس سعيّد محقاً في اعتراضه على استخدام كلمة "تطبيع"، لوصف إقدام أطراف عربية عدة على الاعتراف بالكيان الصهيوني وإقامة علاقات سياسية وأمنية واقتصادية وثقافية معه. فمن منظور وطني وقومي وإنساني واخلاقي، وحده مصطلح "الخيانة" يعبّر عن حقيقة مثل هذا الفعل الذي يضرب عرض الحائط بهوية وتاريخ ومصالح الأمتين العربية والاسلامية وتطلّعات شعوبهما إلى الاستقلال والحرية والنهضة والوحدة.

لقد مُنعت شعوب الأمتين العربية والاسلامية من تحقيق هذه التطلّعات النبيلة بسبب منظومة السيطرة الغربية المُطبقة على مقدراتهما منذ بدايات القرن العشرين، والتي يحتلّ فيها الكيان الصهيوني موقعاً مركزياً منذ تأسيسه. لكن ما يزيد الأمر خطورة وسوءاً اليوم هو استماتة بعض الأنظمة الرجعية والنخب الفاسدة لبناء علاقات مع الكيان الغاصب، قد تصل إلى حدّ التحالف الاستراتيجي المتزامن مع جملة تطورات بالغة الخطورة شهدتها المنطقة في العقدين الماضيين، كاندثار النظام الإقليمي العربي ومؤسّساته، وتحوّل عدد من دوله إلى دول متداعية فاشلة تحتدم فيها التناقضات والانقسامات والصراعات الداخلية. ولا شك في أن سلسلة الانتفاضات الشعبية التي انفجرت في الإقليم العربي بدءاً من سنة 2011، كانت نتاجاً لهذا الواقع المزري، بمعزل عن مآلاتها ومخرجاتها في مراحل لاحقة بفعل تضافر جملة من المؤثرات الداخلية والخارجية.

ان اندثار النظام الإقليمي العربي، الذي تعود بداياته إلى دخول العراق إلى الكويت بتشجيع اميركي عام1990، قد تسارعت وتيرته في السنوات الاخيرة الماضية، وهو افضى اليوم إلى إعادة تموضع استراتيجي لقسم كبير من دول الخليج، تَمثّلت في الاتجاه إلى التحالف العلني مع إسرائيل برعاية وتشجيع من اميركا. والتطور الثاني الشديد الخطورة في هذه الحقبة هو صراع الخيارات في البلدان التي شهدت

انتفاضات وهبّات شعبية بسبب استفحال الأزمة العامة لأنظمتها. وما جرى ويجري اليوم في السودان يقدّم مثالاً واضحاً عن كيفية دخول إسرائيل والولايات المتحدة، بمساعدة حلفائهما الخليجيين، على خطّ صراع الخيارات المذكور، والسعي إلى ترجيح الأنسب لهما على حساب المطالب والتطلّعات الأصلية للشعب السوداني وسائر شعوب المنطقة. وفي مثل هذه الحال سنكون أمام سابقة قد تُوسّع عملية الاختراق الاسرائيلي، بغطاء أميركي وخليجي، للإقليم العربي برمته، لا تقتصر على البعد السياسي، بل تتعدّاه إلى الأبعاد الأمنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وبالنسبة للسودان بالذات نجد ان غياب القيادة التي تمتلك خطاً سياسياً واضحاً يقرن التغيير الداخلي بمواجهة الهيمنة الأميركية وهجمة الاختراق الإسرائيلية المستجدة، مما يفتح نافذة فرص واسعة أمام مروحة من القوى، تضمّ أجنحة في النظم القائمة وقطاعات من النخب السياسية والثقافية وأتباع منظمات الارتزاق غير الحكومية، لإنفاذ أجندتها المرتبطة بتلك الأميركية والإسرائيلية، في عدة بلدان يستعر فيها الصراع الداخلي، وليس في السودان وحده.

2 – صراع الخيارات ونخب الخيانة:

إن إنشاء تحالف إسرائيلي – عربي هو أحد الأهداف المُعلَنة لـــ "صفقة قرن" التي يتبناها الرئيس الأميركي الأخرق، دونالد ترامب. وإذا تَأمّلنا الأحداث المتواترة في السنتين الماضيتين، خاصة في الأشهر الأخيرة، فسنجد أننا أمام تزايد في اللقاءات بين المسؤولين الخليجيين والإسرائيليين، ومشاركة بعض الأوّلين في همروجة الإعلان عن "صفقة القرن"، ومباركتها باعتبارها جهداً محموداً. وإن نشر سيل كبير من المعلومات عن حجم التعاون السياسي والأمني والاقتصادي والتكنولوجي بين الطرفين الإسرائيلي والخليجي، والحملة الفكرية – السياسية الشرسة للترويج لهذا التحالف انما يفضح ما كان مخفياً وظهر فجأة الى العلن، وآخر فعاليات هذه الحملة هي الدعوة التي أطلقها ما يسمى "المجلس العربي للاندماج الإقليمي" لإدانة جميع أشكال مقاطعة إسرائيل، واقتراح حل عربي للصراع معها يكون بديلاً من السياسة المعتمدة من قِبَل السلطة الفلسطينية وحركة "حماس" على حدّ سواء. ويضم هذا المجلس مجموعة من "الشخصيات"، النكرات في الواقع، تعمل في المجال العلمي والأكاديمي والثقافي والقانوني والإعلامي من 15 دولة

عربية، منهم إجلال الغيطة، وهو محامٍ يحمل الجنسيتين البريطانية والمصرية، ومحمد دجاني الداودي وهو أستاذ جامعي فلسطيني، ومحمد أنور السادات ابن أخ الرئيس المصري المقتول أنور السادات، والخبير العلمي التونسي أسامة سلمي، وسامي النصف وزير الإعلام الكويتي الأسبق، ومصطفى الدسوقي الصحافي المصري. ثم ان الاهتمام الفرنسي والغربي بمجموعة النكرات ه ؤلاء، الذين اجتمعوا في باريس في مقرّ «الجمعية الوطنية الفرنسية» بحضور 15 نائباً فرنسياً معروفين بميولهم الصهيونية و الذين تلقوا دعماً من قِبَل طوني بلير رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، كان لافتاً.

المهمّ هو أن أحد أبرز محاور خطاب المجموعة هو «الفوائد الجمّة» !! التي سيجنيها العرب من جرّاء تعاونهم العلمي والتكنولوجي مع إسرائيل، وما سيوفّره هذا التعاون من قدرات لإطلاق دينامية تنمية اقتصادية في بلدان شبه منكوبة. وهذه الأطروحات نفسها هي التي يروّجها دعاة التحالف مع إسرائيل في السودان. والمعلومات الواردة في وسائل الإعلام الإسرائيلية والغربية والعربية أشارت جميعها إلى أن الاتصالات الإسرائيلية – السودانية تعود إلى سنة 2015، أي إلى عهد عمر البشير، وتمّت عبر محامٍ إسرائيلي يحمل الجنسية البريطانية ويعمل في «محكمة العدل الدولية» في لاهاي، اسمه نيك كاوفمان، وهذا الأخير نَسّق بشكل كامل مع مستشار الأمن القومي الإسرائيلي مئير بن شبات. لكن هذه الاتصالات لم تعط نتيجة بسبب الاعتراض الأميركي على عقد صفقة مع البشير، والوضع اختلف جذرياً بعد إطاحته ووصول الفريق عبد الفتاح البرهان إلى رئاسة «مجلس السيادة» السوداني.

إن حسابات البشير والبرهان وكذلك «حميدتي»، أي الفريق أول محمد حمدان دقلو، نائب رئيس «مجلس السيادة»، الذي استأجر خدمات شركة علاقات عامة كندية يملكها آريه بن ميناشيه، الإسرائيلي وعميل الموساد السابق، لتلميع صورته في الولايات المتحدة: توطيد العلاقات مع واشنطن عبر البوابة الإسرائيلية بحسب الاعتقاد الذي انتشر في أوساط الطغم الحاكمة في البلدان العربية منذ أوائل التسعينيات. ومن اجل تسويغ هذا الخيار وكسب التأييد الشعبي له عبر الانتصار في معركة الأفكار، لجأ أنصاره إلى تغليف العلاقات مع إسرائيل بالتنمية، وبجذب الاستثمارات الأميركية والخليجية و اكتساب التقانة والخبرة

الإسرائيليتين. وبالتالي نحن أمام استعادة أكثر تطرّفاً لخطاب السادات الذي موه التسوية والخيانة بالتنمية والانفتاح، وغطى على النتائج الكارثية التي بات الجميع يعرفها ويعرف ابعادها الخبيثة.

إن نقطة العطب الاساسية في الوضع الحالي هي في غياب قوة أو تحالف قوى عملي وكاف يتصدّى لخيار الخيانة الموصوفة هذا. واستمرار هذا الغياب، للاسف، يهدّد بتوسّع مدى الاختراق الاسرائيلي للمجال العربي إلى أبعد ممّا يظنه الكثيرون. وجميعنا يسمع، همساً أو بصوت مرتفع آراءً داعية للتطبيع مع العدو الصهيوني في أكثر من بلد عربي.

3 – انقلاب المعايير:

إننا نشهد اليوم في المنطقة العربية محاولات واضحة لأحداث نوع من الانقلاب في المعايير. ففي القرن الماضي كان الزعماء العرب يتبوؤون مقاعدهم وخطابهم الرئيس يتمحور حول القضية الفلسطينية، يتوسلونها شماعة لبناء زعامتهم الجماهيرية في المنطقة. وكان معيار الوطنية والإخلاص هو الدفاع عن القضية الفلسطسنية وإعلان العداء لإسرائيل. أما اليوم، فصارت الوسيلة لصون أمن ومصالح الانظمة المترهلة التقرب من إسرائيل وتطبيع العلاقات معها، رغم أن القمم العربية ظلت تؤكد، باستمرار، على الربط بين العلاقة مع إسرائيل وانسحابها من الأراضي العربية المحتلة عام 1967 (الارض في مقابل السلام). لكن علينا بدل التجاهل ودفن الرؤوس في الرمال، التأمل في الحقيقة الواضحة القائلة بأنه على الرغم من أن قرارات الجامعة العربية والقمم العربية ظلت تؤكد على مقاطعة إسرائيل وعزلها دوليا، إلا أن هذه المقاطعة وهذه العزلة كانت بلا عزيمة ولا رصيد . فلإسرائيل علاقات دبلوماسية واقتصادية مع معظم دول العالم، بما في ذلك عدة دول عربية، رغم ثبوت الإدانات والرفض المتواصل من دول العالم، باستثناء أمريكا، لسلوك وممارسات إسرائيل تجاه الشعب الفلسطيني. ومنذ جولة نتنياهو الأولى في أفريقيا، في تموز 2016، وإسرائيل تتمدد اقتصاديا وسياسيا ودبلوماسياً في القارة. فبعيد قيام دولة جنوب السودان الانفصالية، زار رئيس الدولة الفتية، الرئيس سلفا كير إسرائيل، فبرز في عدد من منابر الخرطوم سؤال حول كيفية الحد من خطورة العلاقة النامية بين الدولة الوليدة وإسرائيل. ويومها قيل ان السؤال مشروع لأن سياسة إسرائيل تجاه الشعب الفلسطيني وتجاه شعوب المنطقة الاخرى، بما فيها شعب السودان، انما

تتسم بالعدوانية وتنفيذ المطامع الاستعمارية، بالتالي يظل القلق مشروعا تجاه التقارب الإسرائيلي مع دولة الجنوب. ومع ذلك، تظل الحقيقة الساطعة وهي أن جنوب السودان، قيادة وشعبا، ليست لديه أية حساسية تجاه التطبيع مع إسرائيل، وأن جمهورية جنوب السودان كدولة مستقلة ذات سيادة وطنية رات من مصلحتها اتخاذ ما تراه بشأن علاقاتها الدولية والإقليمية حفاظا على مصالح شعبها. والصحيح ايضاً أن العديد من قيادات دول عالمنا النامي، أو العالم الثالث كما كان يقال، وفي ظل مرحلة ما بعد انهيار الإتحاد السوفياتي وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقطب واحد مسيطر في العالم لا منافس له، ظلت هذه القيادات ترى، أو هكذا صور لها، بأن العلاقة مع إسرائيل هي المفتاح الوحيد لتمتين التعاون مع أمريكا والمؤسسات الاقتصادية الدولية. كذلك لا يستطيع أحد نكران أن العلاقة مع إسرائيل ظلت، حتى لفترة قريبة، تعتبر من أشهر المحرمات في العالم العربي. فبسبب نشأتها وسياساتها وأفعالها البغيضة تجاه الشعب الفلسطيني والشعوب العربية، تجذر وترسخ في وعي الشعوب العربية أن إسرائيل هي العدو الأول، وحُرّم تطبيع العلاقات معها، وأُدخلت تهمة العمالة لإسرائيل ضمن مفردات الخصومة السياسية. وظلت أنظمة الطغيان في المنطقة تسعى بخبث لترسيخ فكرة أن إسرائيل وراء أي معارضة لها، متوهمة أن هذا الاتهام سيجد سنداً شعبياً كاسحاً. وذلك في الوقت الذي كان بعضها يجري اتصالات سرية مع العدو.

أما "تابو" علاقة إسرائيل مع السودان، فمر بمراحل عدة، بدءاً بقانون 1958 الذي قنّن مقاطعة إسرائيل سياسيا واقتصاديا، ومروراً بتعاون نظام النميري في تهجير اليهود الفلاشا إلى إسرائيل عبر السودان، ثم التسريبات حول لقاء قيادات من نظام الإنقاذ مع مسؤولين إسرائيليين في المغرب و اوغندا، وتسريبات ويكيليكس عن تباحث مسؤول سوداني في نظام البشير مع السفير الأمريكي في السودان حول التطبيع مع إسرائيل، وأخيراً اللقاء العلني بين البرهان ونتنياهو.

4 – خطوات التطبيع مع السودان:

القراءة الإعلامية الإسرائيلية لرياح التطبيع مع السودان، تجلّت عندما كشفت صحيفة "إسرائيل اليوم" في تشرين الثاني 2017، وللمرة الأولى، عن رحلة مراسلها إلداد البيك إلى عمق الخرطوم ومشاهداته خلالها. وقد عنونت الصحيفة حينها تقريراً بعنوان "السودان يتغير : مع إسرائيل.. وضد الإرهاب". ويظهر العنوان وكأنه تنبؤ استباقي وقبل الأوان، للقاء معلن سيجمع، بعد حين، أعلى مسؤول سوداني، برئيس حكومة إسرائيل، بعد توافر الظرف السياسي المناسب. وفي تقريره القديم، ركز البيك على تصريح منسوب للوزير

السوداني الأسبق، مبارك الفاضل المهدي، في آب 2017، أعرب فيه عن "دعمه لإقامة العلاقات مع إسرائيل"، وزعم البيك في التقرير أنه دُهش لقراءة عنوان بالخط العريض يتحدث عن التطبيع مع إسرائيل في صحيفة "الوطن"، ومنسوب للوزير في الحكومة السودانية، صادق الهادي. وكان من الأمور التي زعمها التقرير وقتها، هو استنتاجه بأن كلمة التطبيع لم تعد محظورة ولا جريمة في عاصمة "اللاءات الثلاث"، باعتبار أنه يشهد تحولات سياسية لافتة، بتقاربه مع الولايات المتحدة والسعودية وابتعاده عن إيران، أي أن النظام السابق في الخرطوم كان يجهز الشعب للتطبيع مع إسرائيل، وفق قوله . ولم تلقَ هذه المزاعم التي جاءت في تقرير إلداد البيك حينها الكثير من التوقف، بقدر ما كان التركيز على سؤال: "كيف دخل إلى السودان؟.. بجواز سفر أوروبي أم إسرائيلي؟".

بعد نحو عامين على نشر ذلك التقرير، حانت الفرصة المناسبة لالبيك، كي يكتب مقالاً جديداً ولو مقتضباً في صحيفة "إسرائيل اليوم"، المقربة من نتنياهو، تحت عنوان "العلاقات مع السودان ستشكل تغييراً ذا دلالة استراتيجية في الشرق الأوسط وأفريقيا". ويجد البيك ضالّته في هذا المضمار، كما لو أنه قام بهندسة "السودان الجديد"، فيقول أن رسالة وصلته عبر التواصل الاجتماعي من أحد السودانيين الأصدقاء، في أعقاب لقاء نتنياهو – البرهان، حيث قال له: "للشعبين الكثير مما يكسبانه من التعاون في مجالات عديدة". ثم دعاه ليزور بلده مرةً أخرى!

أخذ البيك يقارن بين السودان القديم والجديد. فالأول، بحسب تعبيره، "كان معقلاً لمقاومة إسرائيل ومركزاً للإرهاب الإسلامي الدولي". أما الثاني، فهو البلد الذي بدأت فيه رياح التغيير السياسي أواخر عهد البشير لتجدَ الفرصة كي تتقدم أكثر بعد إطاحته، ثم جرأة البرهان حين وافق على لقاء نتنياهو ونشر ذلك على الملأ، كما جاء حرفياً في مقال البيك في صحيفة "إسرائيل اليوم".

الواقع، أن حماسة الصحافة العبرية، وتحديداً "اسرائيل اليوم"، إزاء إختراق التطبيع للسودان والتي جسّدها مقالا البيك، كانت وتيرتها أقل في صحيفة "معاريف" التي رأت أنّ لقاء البرهان مع نتنياهو في أوغندا لا يؤشّر بالضرورة إلى التطبيع. واستعرضت الصحيفة تاريخ العلاقات الإسرائيليّة السودانيّة، فقالت أنّ الخرطوم حاربت ضدّ إسرائيل لكنها ساعدت في هجرة يهود أثيوبيا إلى إسرائيل.

أما موقع "واللا" فحاول أن يكون واقعياً في تفسير هذا اللقاء والغاية منه، فقال أن "السودان الجديد" أدرك أنّ الطريق إلى قلب واشنطن يمرّ عبر إسرائيل. وبدت قراءة موقع "واللا" هذه على غرار أقلام إسرائيلية محددة، كما لو أنها تُقرّ بأن الخرطوم ليست غايتها إسرائيل بالدرجة الأولى، وإنما أن تخرج من عزلتها وتتصالح مع الولايات المتحدة. إلا أن الأخيرة خوّلت إسرائيل أن تقوم بمهمة الوساطة وحلقة الوصل ، وبالأحرى "دور المبتزّ" لغاية تكريس الدولة العبرية في المنطقة كجسم طبيعي لا غريب. ومن أجل ذلك، عملت إسرائيل على ابتزاز السودان عبر التقدم بخمسة شروط إلى البرهان، في مقابل تحقيق طلب سوداني وحيد، ولخّص الإعلام العبري الاشتراطات كما يلي: لجم التأثير الإيراني، إغلاق مكاتب "حماس" و"حزب الله"، والسماح للطائرات الاسرائيلية بالمرور في الأجواء السودانية لتقصير طريقها الى أميركا اللاتينية. إضافة إلى التعاون لاعادة المهاجرين الأفارقة "غير الشرعيين" من إسرائيل الى السودان، ومن ثم كلٌّ إلى دولته. أما الشرط الخامس، فيتعلق بممر السودان الاستراتيجي على البحر الأحمر، والتنسيق العسكري بين الطرفين لمنع أي عمليات نقل للأسلحة من إيران لصالح الحوثيين في اليمن وغيرهم.

بالنظر إلى طريقة معالجة إعلام إسرائيل لـــ"موقعة لقاء نتنياهو – البرهان"، فإن الشروط الخمسة عبارة عن مُقايضة إسرائيلية، مقابل فقط إزالة الخرطوم من لائحة الدول الراعية للإرهاب، وبالتالي إنهاء عزلتها. ويبدو بعضها بمثابة دوافع مهمة للدولة العبرية في عملية التطبيع المرجوة مع السودان. إلا أنّ المفارقة الأهم في مسألة التطبيع فقد ذهب إليها الثنائي الأكاديمي الإسرائيلي، د.حين كارتشر، و د.عادي خيتمان، في بحث نشراه. ويقارن الباحثان بين الماضي والحاضر في ما يخص منطق العلاقات في الشرق الاوسط. ففي وقت مضى، خضع تطور العلاقات بين إسرائيل وبعض الدول العربية، مثل مصر والأردن، لمبدأ التدريجية: من حرب إلى وقف إطلاق النار ثم حالة لا حرب، وبعد ذلك مفاوضات تنتهي باتفاق سلام. أما اليوم، فتتطور علاقة إسرائيل بدول عربية لا تربطها بها علاقات دبلوماسية، بطريقة تتغاضى عن هذه المرحلية والتدريجية، كما تقفز مباشرة من "العداء والحرب" نحو التطبيع مباشرة، ومن دون الحاجة لتوقيع اتفاقيات سلام، كما هو حال لقاء نتنياهو البرهان. والحال، أن هناك جملة يرددها نتنياهو دائماً بالعبرية في السنوات الأخيرة، ويمكن من خلالها فهم عامل إضافي يجعل للتطبيع مع السودان أهمية

مضاعفة: "إسرائيل عادت لإفريقيا، وافريقيا عادت لإسرائيل". وبالتالي فإن أهمية السودان بالنسبة لإسرائيل، ليست نابعة من كونها دولة عربية فحسب والتطبيع معها يزيد عزلة السلطة الفلسطينية ويفتح السوق العربية أمام الشركات الاسرائيلية العابرة للحدود، بل من منطلق موقعها كدولة أفريقية تسعى لإضافتها إلى سلسلة الدول في القارة السمراء التي أصبحت في حضن إسرائيل بعدما كانت رافضة لأي شكل من العلاقة معها لعقود.

في المقابل، يمكن رصد تغريدات إسرائيلية في "تويتر"، ذات طابع فوقي واستعلائي وعنصري تجاه السودان، وإن كان الهدف منها نقد نتنياهو والتقليل من "إنجازه". فاستهزأت هذه التغريدات بنتنياهو الذي يسوّق للتطبيع مع السودان على أنه "انتصار دبلوماسي"، فاشتملت على سؤال تهكّمي ضد نتنياهو قبل انتخابات الكنيست، من قبيل: "هل السودان إنجاز؟".

لقد اتفقت إسرائيل والسودان على التحرك نحو إقامة علاقات طبيعية للمرة الأولى بعد اجتماع في أوغندا بين زعيمي البلدين الخصمين في السابق، كما أفاد مسؤولون إسرائيليون. وأجرى رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو محادثات مع عبد الفتاح البرهان رئيس مجلس السيادة السوداني في مدينة عنتيبي بوسط أوغندا. وجاء في بيان إسرائيلي بعد اجتماع استمر ساعتين: "لقد تم الاتفاق على بدء التعاون بما يؤدي إلى تطبيع العلاقة بين البلدين".

وكان القادة العرب، كما هو معلوم ، قد اجتمعوا في العاصمة السودانية الخرطوم في عام 1967 واتفقوا على ثلاث لاءات هي لا للاعتراف ، ولا للصلح ، ولا للتفاوض مع إسرائيل. والمتوقع ان يمهد تطبيع العلاقات الثنائية الطريق أمام تعهد يعلنه الزعيم اليميني الإسرائيلي نتنياهو بترحيل السودانيين الذين يمثلون نحو 20 في المئة من العمال غير الشرعيين في إسرائيل، وهي خطوة يدعمها كثير من مؤيديه في الداخل. وكان هؤلاء المهاجرون قد قالوا في السابق إن من غير الممكن تسليمهم لأنهم يواجهون عقابا لسفرهم إلى دولة عدو لبلادهم. وأضاف البيان الإسرائيلي: "يعتقد نتنياهو أن السودان بدأ يتحرك في اتجاه جديد وإيجابي". وتابع أن الزعيم السوداني "يرغب في مساعدة بلده على المضي قدما في عملية تحديث من خلال إنهاء عزلته ووضعه على خريطة العالم". واعتبرت إسرائيل السودان فيما سبق تهديدا أمنيا للاشتباه بأن

إيران تستخدم أراضيه ممرا لتهريب الذخائر لقطاع غزة. وفي عام 2009 قالت مصادر في المنطقة إن طائرة إسرائيلية قصفت قافلة عسكرية في السودان. لكن منذ الإطاحة بالرئيس عمر البشير نأت الخرطوم بنفسها عن إيران ويقول مسؤولون إسرائيليون إنها لم تعد تمثل مثل هذا التهديد. من ثم قال مجلس السيادة السوداني إن الولايات المتحدة دعت البرهان لزيارة واشنطن، مما يبرز دفئا في العلاقات الثنائية. وفي وقت سابق عقد نتنياهو محادثات مع الرئيس الأوغندي يوويري موسيفيني الذي قال إن بلاده تدرس إمكانية فتح سفارة لها في القدس.

5 – لماذا السودان:

ان المؤامرات الإسرائيلية ضد السودان قد أكدها مستشار الأمن القومي الإسرائيلي السابق آفي ديختر في محاضرة ألقاها في معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي في الرابع من ايلول 2008 وتناقلها النشطاء السودانيون على نطاق واسع وتناولتها القنوات الإخبارية العربية ووسائل الإعلام الإسرائيلية لفترة من الزمن، وبالطبع تجاهلتها وسائل إعلام النظام السابق، حيث تحدث ديختر فيها عن السودان، وأكد عبرها أن حلفاءاسرائيل في الجنوب "يقصد جنوب السودان" قادرون على تنفيذ أجندة إسرائيل في السودان وأن قدرا كبيرا ومهما من الأهداف الإسرائيلية في السودان قد تحقق على الأقل في جنوب السودان وهذه الأهداف تكتسب الآن فرص التحقيق في دارفور، كما تساءل ديختر في المحاضرة عن الاهتمام الإسرائيلي بالسودان وإعطائه قدرا كبيرا من الأهمية ولماذا التدخل في شؤونه الداخلية في الجنوب" قبل الانفصال" وفي الغرب حاليا – دارفور تحديدا – طالما أنه، أي السودان، لا تربطه أي جغرافيا أو حدود مشتركة مع إسرائيل".

وفي الإجابة على هذه الأسئلة أكد ديختر ان السودان شكل عمقا استراتيجيا لمصر وتجلى ذلك بعد حرب 1967 حيث تحول إلى قواعد تدريب وإيواء لسلاح الجو المصري والقوات البرية وأرسل قوات من جيشه إلى قناة السويس أثناء حرب الاستنزاف، وقال إن "السودان بثرواته الكثيرة وموارده الطبيعية ومساحته الشاسعة وعدد سكانه كان من الممكن أن يصبح دولة إقليمية قوية منافسة لدول عربية رئيسة لكن السودان

ونتيجة لأزمات داخلية بنيوية، صراعات وحروب أهلية فى الجنوب استغرقت ثلاثة عقود ثم الصراع فى دارفور ناهيك عن الصراعات حتى داخل المركز "الخرطوم" تحولت إلى أزمات مزمنة . وهذه الأزمات فوتت الفرصة على تحوله إلى قوة إقليمية مؤثرة تؤثر فى البيئة الأفريقية والعربية".

وشدد ديختر على أنه وبعد مشاركة السودان القوية ودعمه لمصر خلال حرب الاستنزاف كان لابد أن تعمل إسرائيل وبجدية على إضعاف السودان وخلق أزمات تعوق قدرته على بناء دولة قوية كبيرة وموحدة مهما كلف الأمر وذلك يعتبر من ضرورات الأمن القومي الإسرائيلي.

وبالرجوع إلى الوراء قليلا نجد أن وجود نظام فاسد "نظام الرئيس المعزول عمر البشير" قد وفر بيئة خصبة لتمرير المخططات والمؤامرات الإسرائيلية التي نجحت بقدر كبير في قطع شوط بعيد، مع انخراط قيادات من الحركة الشعبية في جنوب السودان في مؤامرة التقسيم وتنفيذ المخطط الإسرائيلي الامريكي، هذا علاوة على نظرة قيادات الحزب الحاكم في عهد البشير، والتي رهنت مصالح السودان الوطنية والإستراتيجية مقابل إحكام السيطرة على السلطة والثروة في البلاد ، فكانت النتيجة انفصال الجنوب، وتعاظم الخلافات مع الحركات المسلحة في غرب السودان والتي أدت إلى اشتعال الحرب في إقليم دارفور وهو أحد الأقاليم التي ركز الموساد الإسرائيلي عليه. وما يشهده السودان في الوقت الراهن يثبت ما ذهب إليه مسؤول الأمن الإسرائيلي ديختر ، فحكومة رئيس الوزراء السوداني الدكتور عبدالله حمدوك أصبحت تسير في حقل من الألغام ، يتمثل في الأزمات الاقتصادية المفتعلة، وتصاعد الخلافات بينها وبين المجلس السيادي، بينما تواجه في الوقت نفسه فلول النظام السابق التي تعمل على إشاعة الفوضى وصنع فجوة بين الشعب والحكومة الانتقالية، وهناك الكثير من الأدلة التي تشير إلى دور فلول نظام البشير في تأزيم الأوضاع وخلق الأزمات خصوصا ما يتعلق بالجانب الاقتصادي لإثارة غضب الشارع ضد الحكومة الانتقالية. وتقوم مرتكزات المؤامرات الإسرائيلية تجاه السودان والمنطقة على ما أكدته غولدا مائير رئيسة وزراء الكيان الصهيوني "1969 – 1974" عندما كانت وزيرة للخارجية عام 1967 ، حيث قالت إنه يجب إضعاف الدول العربية الكبرى واستنزاف مواردها ومكتسباتها ، معتبرة أن ذلك من أوجب واجبات

إسرائيل بل وضرورة ستمكن إسرائيل من زيادة قوتها ومنعتها لمواجهة أعدائها، وفي سبيل ذلك ستستخدم إسرائيل الحديد والنار مرة ومرات أخرى الدبلوماسية ووسائل الحرب الخفية".

مغردون ونشطاء سياسيون سودانيون أكدوا أن هناك محاولات لوأد الثورة السودانية التي أطاحت بالرئيس المعزول عمر البشير في الـــ 11 من نيسان 2019 ، في مهدها، حيث أن ممارسات فلول النظام السابق بمساعدة عناصرها في القوات النظامية وقوات الشرطة تهدف إلى إجهاض الثورة ووضعها أمام مفترق طرق من أجل إبعادها عن المسار الصحيح المتمثل في تحقيق الحرية والسلام والعدالة وتكريس الجهود الشعبية والرسمية من أجل الدخول في مرحلة الديموقراطية والتنمية المستدامة.

ومع وجود أياد خفية وأجنبية تؤثر في المشهد السوداني تكشفت ملامحها مؤخرا، ربما ستشهد المرحلة المقبلة إطالة أمد الأزمات والتضييق على الحكومة الانتقالية لترسيخ عدم قدرتها على إدارة شؤون البلاد ما يمهد الطريق أمام كيانات وشخصيات، مدعومة من حلفاء إسرائيل في المنطقة، على خط السلطة مرة أخرى وتكريس إعلام الظل لخلق حالة من القلق في ذهن الشعب السوداني تجعله ينظر إلى هذه الكيانات بأنها أفضل الخيارات المتاحة في الساحة حاليا.

ومثلما وجدت إسرائيل في جنوب السودان "حلفاء" لتنفيذ أجندتها فربما وجدت هذه المرة حلفاء قادرين على تنفيذ أجندتها الجديدة الساعية إلى إحداث أزمة في إقليم دارفور تمهيدا لتكملة مخططاتها الرامية إلى تقسيم السودان إلى عدة دويلات، بل وحصلت على أكثر من ذلك عبر وجود ثلاث دول عربية "بينها دولتان خليجيتان" حليفة لها وقادرة على تلبية رغبتها وأجنداتها ليست في السودان فحسب وإنما في كل المنطقة العربية والشرق الأوسط.

لقد رأت إسرائيل أنه من أهم واجباتها ومهماتها في المنطقة عدم تمكين السودان من الاستقرار والتنمية الاقتصادية تلك التي قد تجعله قوة إقليمية عربية وافريقية، وتشير التقديرات الإسرائيلية إلى أن السودان لو تمكن من استثمار موارده الطبيعية والمائية وتنمية أراضيه الزراعية والباطنية "المعادن والغاز والنفط" سيصبح قوة لا يمكن الاستهانة بها ويحسب لها ألف حساب في المنطقة العربية والقرن الأفريقي. و بناء

عليه عملت إسرائيل وأجهزتها الاستخباراتية على إنشاء ما يعرف بالتحالف الدائري وهو تحالف يستهدف استقطاب الدول المجاورة للدولة التي تشكل لها قلقا ، وفي حالة السودان كان التحالف الدائري يتمثل في أوغندا و إثيوبيا وأرتريا وزائير سابقا "الكونغو الديمقراطية حالياً". وادت أوغندا دورا بارزا في ذلك وخير شاهد أنها احتضنت أول لقاء رسمي سوداني – إسرائيلي. كما كشفت تقارير إخبارية أن جميع الرؤساء الذي تعاقبوا على الكيان الإسرائيلي " بن غوريون وليفى أشكول وجولدا مائير وإسحاق رابين ومناحيم بيغن ثم شامير وشارون وأولمرت وصولا لنتنياهو قد دعموا المخططات والمؤامرات التي ترتكز على إضعاف السودان عبر صنع الأزمات القبلية والمناطقية والحروب الداخلية التي من شأنها أن تشكل عائقا أمام بناء دولة مستقرة سياسيا واقتصادية وعسكريا معادية لإسرائيل ويمكن أن تؤدي دورا فاعلا في المشهدين الإقليمي والعالمي. ولقد تابعنا جميعًا –منذ سنوات– ذلك الاهتمام المحموم من القوى الغربية وعلى رأسها أمريكا والعدو الصهيوني بالسودان وما كان يجري فيه من أحداث وصراعات، وتابعنا ذلك التدخل الدولي من أجل الوصول لحلٍّ مشكلة الجنوب المفتعلة، والحرب الدائرة فيه منذ أكثر من عشرين عامًا، ذلك التدخُّل الذي أسفر عن اتفاق للسلام بشروط مجحفة اعتبرت مقدمةً لانفصال الجنوب عن الشمال، وإقامة دولة مسيحية فيه. ولم يهدأ ذلك التسابق المحموم بعد توقيع الاتفاقية، ودخولها حيّز التنفيذ، ولكنه بحث عن جبهة أخرى يستغلها في تحقيق هدفه، وكانت هذه الجبهة هي إقليم "دارفور"؛ حيث اتهمت أمريكا والدول الكبرى ما أسمتهم "بميليشيات الجنجويد" العربية الأصل بإرتكاب مذابح جماعية، مدعومةً من الحكومة السودانية، وشنِّ حرب إبادة عرقية لقبائل أخرى من أصول إفريقية. وبرغم أن الجميع مسلمون، وأن الخلافات بين القبائل في إقليم "دارفور" قديمة، وكلها بسبب الاعتداءات التي تحدث من الرعاة على حقول المزارعين؛ لأجل إطعام قُطعانهم، ويتم حلها بمجالس عُرفيَّة أحكامها ملزمة للطرفين، إلا أن القوى الاستعمارية –وعلى رأسها أمريكا– نسجت خيوط حرب عرقية، وحوادث اغتصاب يقوم بها مسلمون ضد مسلمين آخرين ومسلمات، وانبرت هذه الدول للدفاع عن حقوق هؤلاء المظلومين المسلمين ضدَّ إخوانهم الظالمين المسلمين أيضًا.

وإذا كنا نعلم علم اليقين أن أمريكا ومعها أوربا لا تفتآن تحاربان المسلمين وتبيدانهم في كل مكان من الأرض تصل أيديهما إليه، فما بالهما في قضية "دارفور" تأتيان للتدخل من أجل حماية فريقٍ من المسلمين؟!! إن الأمر يمثِّل لغزًا لمن لا يدرك الأسباب الحقيقيَّة لهذا التدخل الصليبي. فالواقع ان لهذا التدخُّل أربعةَ أسباب مهمَّة وأساسية وهي:

اولاً: خوف الدول الغربيةمن انتشار المد الإسلامي في إفريقيا وسطًا وجنوبًا، وخاصة في جنوب السودان؛ فهذه الدول التي ظلت تدعم التمرد في جنوب السودان طوال عشرين عامًا أو يزيد –حتى استطاعت الوصول لاتفاق السلام الذي يمهِّد لانفصال الجنوب– انما كانت تطمح بعد هذا الانفصال إلى تحقيق حُلمها بإقامة دولةٍ مسيحيةٍ في جنوب السودان. وهذه الدولة كان مُخطَّطاً لها أن تحقِّق عدة أهداف استراتيجية، منها: 1– أن تكون حاجزًا منيعًا أمام انتشار الإسلام في إفريقيا. 2– أن تمنع التواصل بين أيّ محاولات مستقبلية من المسلمين للتواصل مع الشعوب المسلمة المضطهَدة وسط وجنوب قارة إفريقيا. 3– إبقاء دول الشمال المسلم في حالة قلق وعدم استقرار مستمرَّيْنِ، عن طريق تصدير الاضطرابات من هذه الدولة التي ستكون مرتعًا لأجهزة الاستخبارات العالمية. قضية البترول السوداني

ثانياً: قضية البترول السوداني، ومحاولات الاستيلاء عليه من الشركات الكبرى بهذه الدول الاستعمارية الصليبية؛ حيث يصل الإنتاج الحالي إلى 350 ألف برميل يوميًّا –في حالة استقرار الوضع السياسي– واحتياطي يصل إلى 3 مليار برميل، وتقع الاكتشافات النفطية بالجنوب، وجنوب شرق، وجنوب غرب؛ حيث جنوب دارفور ذي المساحة الشاسعة، والبترول الواعد الذي يمدُّ أمريكا حاليًا –من خلال أنبوبة النفط الممتدة بداية من تشاد– بحوالي 16% من احتياجاتها الاستهلاكية اليومية من البترول. وهناك ما هو أخطر من البترول، حيث يختلط تراب إقليم دارفور باليورانيوم بكثرةٍ تجعله محطَّ أنظار كل القوى الكبرى عالميًّا وإقليميًّا.

ثالثاً: السيطرة على منابع النيل: وهذه السيطرة لها أهداف متنوعة منها: (1) الضغط على مصر والسودان سياسيًّا، حيث سيصبح مصيرهما مرتبطًا بالدولة المسيحية المسيطرة على مجرى النيل، ومن ثَمَّ مرتبطًا بالدول الكبرى، ورغباتها، وعندها يصير القرار السياسي مرهونًا برغبات هؤلاء، وتفقد مصر والسودان

استقلاليتهما عمليًّا، أو تضطران لخوض غمار حربٍ أمام القوى الكبرى دفاعًا عن الحياة ذاتها. (2) تقديم مياه النيل هدية إلى إسرائيل التي ما زالت تحلم وتخطِّط بوصول مياه النيل إليها؛ ليروي ظمأ المحتلين، وييسِّر سبل العيش والزراعة لهم بأرخص الأثمان.

رابعاً: خصوبة الأراضي السودانية: والمقصود هنا هو الاستفادة من خصوبة أراضي السودان، سلة غذاء العالم العربي؛ في توفير الغذاء بأنواعه لكل الدول الاستعمارية المشاركة في إشعال الأزمة، خاصة اسرائيل، مع إبقاء الوضع في شمال السودان على ما هو عليه من عدم استخدام هذه الأراضي بالصورة التي تخدم السودان والعالم الإسلامي، وذلك من خلال إبقائه في دوّامة الصراع، والضغط عليه باستخدام سلاح المياه.

إذن تتبدَّى الصورة في حقيقتها مختلفة عن الجزء الظاهر منها.. الذي تظهر فيه الولايات المتحدة وأوربا واسرائيل وهي ترتدي عباءة الأم الحنون التي تعطف على المساكين الذين يتعرضون للاضطهاد والإبادة، حيث يظهر الشكل الحقيقي للثعلبٍ الماكر وهو يداور ويناور من أجل الْتِهام ذلك الجزء من العالم الإسلامي؛ لتنفتح له أبواب أخرى ظل يخطِّط لفتحها طويلاً حتى آن الأوان.

6 – الطمع العربي الموهوم بالدعم الصهيوني:

تبدو الأنظمة العربية في الوقت الراهن في سباق للتطبيع مع الكيان الصهيوني الغاصب، ويبدو أن أغلبها يطمع في الحصول على دعم صهيوني ينحصر غالبا في مسألتين وهما: المسألة الأمنية المزعومة والمفتعلة التي تدعي هذه الأنظمة بانها تقلقها، والمسألة الاقتصادية المتعلقة بالتنمية وتحسين الظروف المعيشية للناس وتنويع مصادر السرقات والاختلاسات والفساد المالي.

فدول الخليج مثلا معنية بالدعم الأمني الصهيوني لها لأنها تخشى المستقبل، وتحسب حسابات كثيرة لاحتمالات انهيارها كأنظمة قبلية متخلفة وسحل أركانها في الشوارع ومصادرة أموالها وممتلكاتها التي نهبتها من دماء الشعوب. وتخشى أنظمة الخليج ايضاً من ان يشملها الحراك الشعبي ويطيحها عن

عروشها، كما تخشى هذه الانظمة المنظمات الدولية ومواقف بعض الدول الغربية من مسألة احترام حقوق الإنسان. والجميع يعلم بان هذه الأنظمة قبلية وفاشلة ولا تقيم وزنا لحقوق الناس ولا لرفاهيتهم وتحسين ظروفهم على مختلف المستويات المعيشية والإنسانية. إنها أنظمة قمعية مستبدة ظالمة لا تفسح مجالا للمشاركة السياسية ولا تسمح بحرية الرأي ولا بتطوير الوعي الإنساني والشخصية المستقلة الواثقة من نفسها. وهي أيضا تخشى إيران سواء كانت هذه الخشية حقيقية أو وهمية بهدف صناعة عدو جديد للأمة العربية وفق المزاج الأمريكي الصهيوني. وبالتالي فهي تنظر إلى إيران على أنها عدو مفترض من دون أن تثبت حتى الآن اي شيء من الإجراءات المزعومة والمنسوبة الى إيران تعبيرا عن عدائها للعرب.

من الناحية الاقتصادية، قال ملك المغرب السابق ذات يوم تصديقاً لكلام الرئيس الاسرائيلي السابق شمعون بيريس: إن التعاون العربي – الإسرائيلي، على حد زعمه، سيؤدي إلى فائدة كبيرة للطرفين لأن إسرائيل ستساهم بالعقول، والعرب يساهمون بالسواعد والمال فتنتعش التنمية الاقتصادية ويرتفع الإنتاج وتتحسن الأوضاع المعيشية لجماهير الطرفين، مما يشكل امتهانا صريحاً وواضحاً لكرامة الانسان العربي من قبل زعماء العرب انفسهم. ويطمع البرهان بسعي الصهاينة لدى الإدارة الأمريكية لرفع اسم السودان عن قائمة الإرهاب ودعم النظام القائم على الساحة الدولية على اعتبار أن رض ى أمريكا يمر عبر الرض ى الصهيوني.

مع الزمن، ترسخت هذه الفكرة لدى أنظمة العرب، وكانت مصر هي السباقة في هذا الاتجاه، ثم منظمة التحرير الفلسطينية، ثم الأردن. والآن ترى أنظمة عربية عديدة صوابية الانسحاق العربي وحكمة الصهاينة. واذا كانت دول الخليج تتحدى المشاعر العربية والتاريخ العربي وتزيح القضية الفلسطينية جانبا بطريقة مؤذية ومذلة، فان البرهان رئيس المجلس السيادي السوداني ينافسها في ذلك، خاصة ان الصهاينة مع الأمريكيين يشكلون البؤرة الأولى والأساسية لما يسمى بالمجتمع الدولي. ويطمع البرهان كذلك بمساهمة الصهاينة في التقنية الزراعية الصهيونية وبخبرات الصهاينة في التربية الحيوانية، وأيضا في مجال تقنيات التعدين بخاصة تعدين الذهب المتوفر خامه في السودان. وإجمالا، ترى أغلب أنظمة العرب أن الصهاينة متطورون تقنيا، ومن الممكن الاستعانة بتقنيتهم في مجالي ملاحقة المعارضين والحاق الاذى بهم ورفع مستويات الإنتاج. والأنظمة مهتمة بتقنية التجسس الصهيونية وذلك لتعزيز قدراتها على ملاحقة المواطنين

والمعارضين، والتجسس على دول ومنظمات المقاومة التي لا ترتاح لوجود الولايات المتحدة في المنطقة ولربيبتها إسرائيل. وهم يريدون تقنية التجسس والطائرات المسيرة والخبرات الحربية لمواجهة إيران. والحقيقة هي انه اذا كانت أنظمة العرب الرجعية معنية بأمنها وأمن انظمتها وبالتطوير الاقتصادي فالوصفة بسيطة: وظفوا أموالكم لتوطين التقنية واستقطبوا علماء العرب وخبراءهم باحترام وانتماء كما فعلت إيران، والوهم الاكبر عند هؤلاء هو عندما يظنون بأن الصهاينة سيتقدمون الصفوف لمحاربة إيران لأن الصهاينة لا يوظفون جيشهم للقتال بالنيابة عن أحد. وجيش الصهاينة ليس للإيجار على عكس العديد من الجيوش العربية التي تستعمل للقتال بالنيابة ولتحقيق مصالح الآخرين.

ان إسرائيل مستعدة للحرب عندما تتطلب مصالحها ذلك وتكون على يقين بأنها ستنتصر. وهي لن تذهب إلى إيران وهي محاصرة بقوتين كبيرتين من الشمال والجنوب وهما حزب الله والمقاومة الفلسطينية في غزة. وإذا كانت هي لا تجرؤ على مواجهة تنظيمات عسكرية، فإنها لن تجرؤ، على الأقل، تحت الظروف الحالية على مواجهة إيران. وحتى أنها لم تعد مهتمة بالمساهمة في حرب تشنها أمريكا على إيران. ومن الناحية الاقتصادية، الصهاينة لا يقدمون خدمات وتقنيات إلا إذا كانوا متأكدين من أرباح هائلة يحصلون عليها في المقابل. وقد جربت مصر والأردن ومنظمة التحرير التقرب من الصهاينة حبا بالخيرات التي سيجنونها، فلم يجنوا غير الأوهام والمزيد من التخلف الاقتصادي والديون والفوضى الإدارية والمالية والفتن الداخلية. لاشك بان الصهاينة انما يذهبون إلى ديار الآخرين لمص دمائهم وليس لنشر خيرهم، إن كان لهم خير من الاصل. وثابت عالميا أن أمريكا والصهاينة والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي لا يدخلون دولة إلا أفقروها ودمروها. والسودان في الواقع بلد ثري بموارده، لكنه فقير بقياداته. أما بعض دول الخليج فمشغولة بالإنفاق على الفتن في الساحات العربية. ولديها أموال طائلة لتمويل الفتن والحروب الكارثية، ولا يوجد لديها فلس واحد لتوفير مساكن يأوي إليها الناس المحرومين والمظلومين.

7 – تدخل نتنياهو المباشر:

يؤمن رئيس وزراء العدو نتنياهو بأن السودان يسير في اتجاه جديد وايجابي وهو عبر عن رأيه هذا في محادثاته مع وزير الخارجية الأمريكي بومبيو. أما رئيس مجلس السيادة السوداني الفريق أول عبد الفتاح البرهان فيريد من الكيان الغاصب مساعدة دولته في الدخول في عملية حداثة وذلك من خلال إخراجها من العزلة ووضعها على خريطة العالم، بحسب زعمه. وعلى الرغم من أن الحكومة السودانية سارعت إلى نفي علمها بهذا التنسيق، إلّا أن التصريحات الإسرائيلية لم تكن لتخرج إلى العلن لولا وجود نية من قائد

المرحلة الانتقالية في السودان بتطبيع العلاقات، خاصة أن البرهان أكد هذا الأمر في اتصال هاتفي مع وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو الذي أثنى على الأمر كثيرا، وفق المتحدث الرسمي باسم الخارجية الأمريكية، ما يفتح مجالات أكبر لعلاقة أفضل بين السودان والولايات المتحدة بحسب المصدر ذاته.

وبالنسبة لإسرائيل، يأتي اختيار "بدء تعاون" مع السودان في وقت مهم جدا. إذ لا تزال الحكومة الإسرائيلية منتشية بتقديم حليفها الأمريكي لما يعرف بـــ"صفقة القرن" ودفاعه المستميت عنها، فضلا عن أن التقارب الإسرائيلي – العربي أخذ دفعة جديدة بعد الزيارة التي قام بها نتنياهو إلى العاصمة العمانية مسقط، وتعدّد التقارير التي تشير إلى تنسيق إسرائيلي–عربي في ملفات متعددة، وأخيرا الاختراق الذي نجحت فيه إسرائيل داخل القارة الإفريقية وتقويتها لعلاقاتها مع عدة دول هناك، ومن ذلك تطلعها لأن تفتتح أوغندا سفارة لها في القدس. ويبقى السودان ذا أهمية استراتيجية بالغة لإسرائيل، فهو يقع في منطقة لها علاقات مع الأخيرة، سواء جارته الشمالية مصر، أو دول أخرى جارة في الجنوب كجنوب السودان وأوغندا وإريتريا. ومن شأن إدخال السودان إلى "مجموعة الشركاء" أن يعطي لإسرائيل دفعة قوية في توسيع حضورها الخارجي، فضلاً عن منافع اقتصادية كبيرة، منها مزاحمة قوى إقليمية، كتركيا والسعودية، التي تتسابق لكسب النفوذ في السودان.

إن رحيل عمر البشير من السلطة فتح المجال أمام السودان لإعادة النظر في ثوابت علاقاته الخارجية، ومن أكبر المنافع الاستراتيجية، بحسب تحليل نشر في صحيفة "جيروزاليم بوست" الإسرائيلية، هو قطع الروابط التي تجمع السودان مع جبهات معادية لإسرائيل، وبالتالي تخسر القوى التي شنت الحرب على الغرب خلال العقدين الأخيرين واحدة من أهم قواعد عملياتها، خاصة أن الخرطوم، بحسب التحليل ذاته، كانت لها روابط مع أسوأ الأزمات التي واجهت إسرائيل والغرب، ومن ذلك احتضان مقاتلين لتنظيمات إسلامية.

وبحسب رأي أوجيني كونتوروفيش، أستاذ القانون الدولي في جامعة جورج ماسون الأمريكية، فإن السودان تحوّل من "مكان انطلق العرب منه لرفض إسرائيل، إلى مكان ينطلقون منه للرّد على الرفض"، في إحالة منه إلى تهديدات الرئيس الفلسطيني محمود عباس بقطع كل العلاقات مع إسرائيل.

ويمضي كونتوروفيش قائلاً إن الموقف السوداني ذو أهمية خاصة لأنه يأتي بعد تقديم واشنطن لرؤيتها الخاصة بالسلام في الشرق الأوسط، وأن كل التوقعات برد فعل عربي قوي ضد الإدارة الأمريكية بعد إعلان الصفقة لم تتحقق، بل "صرنا نرى دولا عربية لا تريد أن تكون رهينة عدمية للسلطة الفلسطينية" حسب قوله.

في المقابل لعل أكبر مصلحة بالنسبة للسودان في أيّ تطبيع محتمل مع إسرائيل هو رفع اسمه من قائمة الإرهاب، وهو هدف ركض وراءه الرئيس المخلوع عمر البشير، ودخلت إلى جانبه السعودية التي لا تزال تؤكد دعمها للسودان في هذا الصدد، دون أن تقدم واشنطن ضمانات حقيقية للخرطوم.

غير أن ما يقف في وجه إسرائيل هو الرفض الشعبي القوي داخل السودان لأي تطبيع في العلاقات. وفي هذا الإطار يقول الطيب العباس، الأمين العام لنقابة المحامين السودانيين، والقيادي في قوى إعلان الحرية والتغيير، إن أيّ اتفاق بين نتنياهو والبرهان، سواء أكان مخططا له أو وقع بشكل عرضي، "مرفوض تمامًا بالنسبة للشعب السوداني المتمسك بالقضية الفلسطينية". ويضيف العباس أن الوثيقة الدستورية لا تمنح الحق لمجلس السيادة في توقيع مثل هذه الاتفاقيات، وإذا ما تأكد التوقيع فعلا، فـــ"سيشهد السودان ثورة عارمة ضد البرهان". ويتهم القيادي في قوى إعلان الحرية والتغيير إسرائيل بأنها "ساهمت في عدم استقرار البلاد، خاصة تدخلها في مناطق الحروب، ودورها الكبير في انفصال جنوب السودان". ولقد عانى السودان اقتصاديًا لأسباب متعددة منها العقوبات الأمريكية التي منعت عنه الاقتراض الدولي وصعبت على المستثمرين التوجه إليه (رُفعت العقوبات في نهاية 2017)، فهو واحد من أفقر 20 دولة في العالم، ورغم كل الأموال العربية التي دُست في الخزائن السودانية، إلّا أن واقع الحال لم يتغير كثيرًا، لذلك قد يكون التطبيع مفتاحًا. لكن العباس يرد على ذلك بأن استمرار العقوبات لا يهدف سوى إلى الضغط على السودان وكسر شوكة السودانيين، غير أن الاستجابة لن تأتي لأن الموقف السوداني تجاه رفض إسرائيل ثابت، حسب رأيه. اما رئيس حكومة العدو نتنياهو فقال وهو في طريقه إلى أوغندا: "أسافر الآن للقيام بزيارة أخرى إلى أفريقيا وهذه هي الزيارة الخامسة التي أقوم بها خلال الثلاث سنوات ونصف الأخيرة. إسرائيل تعود إلى أفريقيا بشكل كبير وأفريقيا قد عادت إلى أحضان إسرائيل". خاصة ان إسرائيل تملك ورقة ضغط

أخرى، فالجالية اليهودية من أصول سودانية داخل إسرائيل قد تلعب دوراً في هذا الصدد، وهي التي هاجرت هناك بشكل قوي منذ حرب 1967، وخصوصًا في عهد جعفر النميري الذي فرض الشريعة الإسلامية. ويعدّ هذا الموضوع من أكثر المواضيع حساسية في السودان، خاصة عندما دعا وزير الأوقاف نصر الدين مفرح في أيلول 2019 الجالية اليهودية السودانية في إسرائيل إلى العودة، في وقت لا تخفي فيه هذه الأخيرة أنها تهتم للتطورات في بلدها الأصلي، كما فعلت خلال وقفات نظمتها في تل أبيب دعماً للمتظاهرين في السودان.

7 – التدخل الإسرائيلي في جنوب السودان:

بدأت الاتّصالات بين إسرائيل وحركة التمرّد في جنوب السودان في العام 1963. فمذ ذاك العام وحتى العام 1972، اجتمع كثير من القادة والناشطين السودانيّين الجنوبيّين إلى مسؤولين إسرائيليين في السفارات الإسرائيلية في أوغندا وإثيوبيا وتشاد والكونغو وكينيا. وقد تعزّزت هذه الاتّصالات والعلاقات وتعمّقت خلال حرب الاستنزاف بين مصر وإسرائيل. ولا تزال الملفات المتعلّقة بالتدخّل الإسرائيلي في جنوب السودان في تلك المرحلة محكمة الإغلاق في الأرشيف الإسرائيلي، ولكن جوزيف لاغو، قائد حركة "أنيانيا" التي قادت حركة التمرّد في جنوب السودان في تلك الفترة، كشف في مقابلة له مع صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية، النّقاب عن خلفيات التدخّل الإسرائيلي وبداياته وأبعاده في دعم التمرّد في جنوب السودان في تلك الفترة. ويتّضح من هذه المقابلة أنّ جوزيف لاغو اجتمع في بداية العام 1969 إلى سفير إسرائيل في كمبالا وسلّمه رسالة إلى رئيس الحكومة الإسرائيلية حينئذ ليفي أشكول. وشدّد جوزيف لاغو في رسالته على المصالح المشتركة بين إسرائيل وحركة التمرّد في جنوب السودان وفي مقدّمتها "الحرب ضدّ العرب". وعلى أرضيّة المصالح المشتركة، طلب جوزيف لاغو في رسالته مساعدة عسكرية من إسرائيل إلى حركة "أنيانيا". وأشار إلى أنه إذا أمدّت إسرائيل حركة "أنيانيا" بالسّلاح فإنها ستشنّ الحرب ضدّ الجيش السوداني وستعمل على مشاغلته وإزعاجه، الأمر الذي يؤدّي إلى منعه من دعم مصر والدول العربية الأخرى في حربها ضدّ إسرائيل. ولكن رئيس الحكومة الإسرائيليّة ليفي أشكول توفّي في شباط 1969 قبل أن يستلم

رسالة جوزيف لاغو؛ وحلّت محلّه غولدا مئير التي قامت بدورها بدعوة جوزيف لاغو إلى زيارة إسرائيل. لبّى جوزيف لاغو الدعوة، وخلال زيارته إسرائيل اجتمع إلى غولدا مئير في مكتبها في القدس، وإلى مسؤولين إسرائيليين آخرين، وزار عدداً من القواعد العسكرية الإسرائيلية، واتّفق مع المسؤولين الإسرائيليين على صفقة تقوم إسرائيل بموجبها بتزويد حركة "أنيانيا" بالأسلحة وبتدريب مقاتلي الحركة عسكرياً في إسرائيل، كان أبرزهم جون غرنغ الذي أصبح لاحقاً قائداً للجبهة الشعبية لتحرير السودان. وبعد هذه الزيارة بفترة وجيزة، شرعت إسرائيل في تزويد حركة "أنيانيا" بأنواع مختلفة من الأسلحة على متن طائرات نقل إسرائيليّة، قامت بإيصالها إلى مدينة جوبا في جنوب السودان من طريق أوغندا. وشملت هذه الشّحنات أسلحة كثيرة ومتنوّعة من بينها المدفعيّة والصواريخ المضادّة للدّبابات وأسلحة رشاشة وأسلحة خفيفة، وهي أسلحة كانت إسرائيل قد غنمتها من الجيوش العربيّة في حرب 1967. وأشار جوزيف لاغو في مقابلة مع صحيفة "هآرتس" إلى أنّ إسرائيل لم تزوّد حركة "أنيانيا" بأسلحة مصنوعة في إسرائيل أو أسلحة غربيّة حديثة، كي لا يتمّ كشف مساعدتها لتمرّد جنوب السودان. ومع بداية وصول شحنات الأسلحة الإسرائيلية إلى جنوب السودان، وصل أيضاً مستشارون عسكريّون إسرائيليون وانضمّوا إلى قواعد المتمرّدين. وذكر جوزيف لاغو أنّ السّلاح الذي حصلت عليه حركة "أنيانيا" من إسرائيل غيّر موازين القوى وعزّز مكانة الحركة، وبات يحسب حسابها في الصّراع.

استمرّت إسرائيل في تزويد حركة أنيانيا بالسلاح، برحلات جوية من أوغندا إلى جنوب السودان حتى العام 1972. وفي ذلك العام، غيّر رئيس أوغندا عيدي أمين سياسته المساندة لإسرائيل وقطع علاقات بلاده معها وأغلق سفارتها في كمبالا وطرد جميع الإسرائيليين من أوغندا، بمن فيهم كثير من المستشارين العسكريين. وأدّى ذلك إلى وقف إسرائيل استعمال أوغندا طريقاً لتزويد حركة التمرّد في جنوب السودان بالسّلاح. وكانت هناك طريق أخرى أمام إسرائيل، وهي نقْل الأسلحة جواً بطائرات تمرّ في الأجواء الإثيوبية ومن ثمّ إلى كينيا ومنها إلى جنوب السودان، بيْد أنّ هذه الطريق كانت أكثر تكلفة وخطراً. وجاء توقيع الحكومة السودانية في سنة 1972 مع حركة التمرّد في جنوب السودان اتفاقيّة أديس أبابا ليوقف بموجبها التمرّد في

جنوب السودان. وفي أعقاب هذه الاتّفاقية أسرع جوزيف لاغو إلى العاصمة الكينية نيروبي لشرح الوضع الجديد للإسرائيليين الذين أزعجتهم اتّفاقية السلام ووقف التمرد.

8 – علاقات ما وراء الكواليس:

نشرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية مقالًا للكاتب يوسي ميلمان تحدث فيه عن العلاقات الإسرائيلية – السودانية وخباياها، في أعقاب اللقاء الذي جمع بين الفريق أول عبد الفتاح البرهان رئيس مجلس السيادة الانتقالي السوداني ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في أوغندا وأكد أن نتنياهو سعى لضم السودان إلى نادي «أصدقاء إسرائيل» المكون من " دول عربية سُنِّية"، والجهود التي بذلها الموساد، بمساعدة المملكة العربية السعودية، لتحقيق ذلك في الماضي. وفي مستهل مقاله، قال الكاتب: إن «الاجتماع الذي عُقِد في أوغندا، بين رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وعبد الفتاح البرهان رئيس مجلس السيادة الانتقالي في السودان، هو مجرد فصل آخر في التاريخ المعقد للعلاقة بين البلدين. إنها قصة صعود وهبوط، وحرب، ونفعية، وعداء، وتهريب أسلحة وبشر، ومؤامرات، والمدى الذي تصل إليه ذراع إيران الطولى، وتحويلات مصرفية سرية، وعلاوةً على كل ذلك، علاقة مغلَّفة بطبقات متداخلة من السرية.

كُتِب الفصل الافتتاحي من ذلك التاريخ خلال النصف الأول من خمسينيات القرن الماضي. وكان السودان في ذلك الوقت يتفاوض على استقلاله مع الحكومة البريطانية والمصرية المشتركة، فيما عرف باسم «اتفاقية السيادة المشتركة»، التي حكمت السودان منذ عام 1899. وكانت المعارضة الرئيسة في السودان، ممثلة في حزب الأمة، تخشى من مساعي الرئيس المصري جمال عبد الناصر لتطبيق أيديولوجية الوحدة العربية، وما يمكن أن يتمخض عنه ذلك من محاولة عرقلة استقلال السودان، بالتنسيق مع هؤلاء القوميين السودانيين الذين كانوا يفضلون الوحدة مع مصر».

وأوضح الكاتب أن: «ممثلي حزب الأمة، بقيادة صادق المهدي – الذي أصبح بعد 30 عامًا رئيس وزراء السودان – التقوا سرًا بدبلوماسيين إسرائيليين في العاصمة لندن، وكان من بينهم مردخاي غازيت،

السكرتير الأول لسفارة لندن آنذاك. وسعى الممثلون السودانيون للحصول على مساعدة دبلوماسية، ومساعدة اقتصادية، إن أمكن، من إسرائيل، العدو اللدود لمصر.

وفي كانون الثاني 1956، حصل السودان على استقلاله، واعترفت به كل من المملكة المتحدة ومصر. وانتقلت مهمة الحفاظ على اللقاءات السرية مع إسرائيل، والتي استمرت لبضع سنوات، من وزارة الخارجية الإسرائيلية إلى الموساد. ومنذ البداية، لعب نسيم جاوون، الذي وُلد في السودان، وهو رجل أعمال دولي يحمل الجنسية السويسرية الإسرائيلية، دورًا مهمًا في تسهيل العلاقات بين إسرائيل والسودان، مع التركيز على العلاقات الاقتصادية. وبمرور السنين، استفادت إسرائيل من استثمارات جاو ون وخبراته في قطاعي السياحة والفنادق». وذكر الكاتب أن: «شهر عسل العلاقات بين البلدين انقضى بحلول نهاية الخمسينيات من القرن الماضي. إذ أدى الانقلاب العسكري – أحد عدة انقلابات حدثت فيما بعد – وسِحْر عبد الناصر الذي يسلب الألباب إلى تحويل السودان إلى خصم لإسرائيل؛ حتى أن السودان أرسل وحدة عسكرية صغيرة لمساعدة مصر في حرب الأيام الستة في حزيران 1967، وعلى مدى العقد الذي جاء بعد ذلك، لم تكن هناك مواجهات ثنائية، ولا حتى لقاءات سرية. وبوضع هذا الواقع في الاعتبار، تبنت إسرائيل المقولة القديمة «عدو عدوي صديقي»، وأعلنت عن استعدادها للعمل على بناء علاقات سرية مع القوات المعارضة للحكومة السودانية. وتسلل عملاء الموساد، بقيادة ديفيد بن أوزيل، المعروف باسم «طرزان»، إلى السودان في عام 1969. وتمثلت مهمتهم في تقديم المساعدة للقبائل السودانية الجنوبية التي تقاتل الحكومة المركزية في الخرطوم. وباستخدام مهابط طائرات وقواعد جوية في أوغندا وكينيا، أسقط طيارو سلاح الجو الإسرائيلي أسلحة وذخيرة لمساعدة قوات المتمردين التابعة للجنرال جوزيف لاجو، الذي سافر أيضًا إلى إسرائيل والتقى برئيسة الوزراء غولدا مائير. وعلى الأرض، سار «طرزان» وفريقه، إلى جانب قوات لاجو، لمسافة مئات الكيلومترات في الأدغال، حيث قصفوا الجسور الممتدة على نهر النيل ونصبوا كمائن للجنود السودانيين.

وتابع الكاتب قائلًا: «انتهت الحرب الأهلية في منتصف السبعينيات من القرن الماضي، لكنها لم تكن نهاية التدخلات الإسرائيلية. وبناءً على تعليمات رئيس الوزراء مناحم بيجن، ساعد رجال الموساد وأفراد البحرية

الإسرائيلية في تهريب اليهود الإثيوبيين إلى «أرض الميعاد»، مستخدمين معرفتهم المتراكمة بالجغرافيا والتضاريس. وخاطروا بحياتهم، وعملوا مع الإسرائيليين المنحدرين من أصول إثيوبية، ووضعوا خطة جريئة للغاية، نفذت في نهاية المطاف على مرحلتين:

المرحلة الأولى، في الفترة من عام 1977 حتى عام 1980، والتي تحمل الاسم الرمزي «عملية الإخوة»، استخدمت فيها القوارب الإسرائيلية لإنقاذ اليهود الإثيوبيين وتهريبهم عبر الساحل السوداني المطل على البحر الأحمر. ولتعزيز العملية، أنشأ الموساد شركة أوروبية (سويسرية) باعتبارها واجهة لإعادة بناء منتجع للغطس. ونظرًا لأن عناصر الموساد كانوا متنكرين في صورة مدربين للغوص تابعين لهذه الشركة، كان المنتجع بمثابة مركز للقيادة والتحكم. وبهذه الطريقة استطاع الموساد تهريب 17.500 يهودي إلى إسرائيل، لكن ذلك تحقق بوتيرة بطيئة، ولم تتوفر إمكانية لزيادة هذه الوتيرة.

وفي عام 1981، التقى وزير الدفاع الراحل أرييل شارون سرًا بالزعيم السوداني الجنرال جعفر النميري في كينيا. وخطط شارون، بمساعدة رجل الأعمال الإسرائيلي يعقوب نمرودي وعميل الموساد السابق د افيد كيمحي والملياردير السعودي عدنان خاشقجي (يتصرف على نحو شبه مستقل عن السلطات السعودية)، لتحويل السودان إلى مستودع للأسلحة المخصصة للإطاحة بنظام آية الله الخميني، الذي كان لا يزال نظاما جديدًا نسبيًّا، في إيران. وقضت الخطة بان ترسل إسرائيل أسلحة إلى السودان، بتمويل من خاشقجي (توقع خاشقجي ونمرودي الحصول على عمولات ضخمة). على أن يحصل النميري على مكافأة سخية. ويُنَصَّب ابن الشاه المخلوع حاكمًا جديدًا لإيران. وكان هناك هدف آخر تمثل في تحويل بعض الأسلحة للتحريض على تمرد في تشاد، البلد الذي يمتلك مناجم اليورانيوم ذات الأهمية الاستراتيجية، والذي من شأنه أن يؤدي إلى تشكيل حكومة جديدة صديقة لإسرائيل».

واستدرك الكاتب قائلًا: «لكن شارون والمتآمرين معه كانوا يتآمرون من وراء ظهر الموساد. وعندما علم قائدا الموساد، إسحاق حوفي وناحوم أدموني، بالخطة، رفعا شكوى أولًا إلى بيجن ومن ثم أجهضوا الخطة في مهدها. وبعد مرور ثلاث سنوات، وفي عام 1984، أثبت الموساد قوته مرة أخرى. وقرر أن يتكيف من جديد مع طريقة العمل الخاصة بهجرة اليهود الإثيوبيين. وبفضل الرشاوى التي تلقاها كل من الزعيم

السوداني جعفر النميري وعمر أبو الطيب رئيس جهاز أمن الدولة؛ وافقا على غض الطرف عن عمليات التهريب تلك. والـــ30 مليون دولار – التي منحتها لجنة التوزيع المشتركة الأمريكية، وهي أكبر منظمة رعاية يهودية عالمية – مهدت الطريق أمام إنشاء مرحلة جديدة من تهريب يهود إثيوبيا.

تم نقل اليهود الإثيوبيين تحت جنح الليل إلى مطار الخرطوم، ومن ثم نقلتهم شركة « Trans European Airways» للخطوط الجوية إلى إسرائيل عبر بروكسل. وكانت الشركة مملوكة لجورج غوتلمان، وهو يهودي من بلجيكا كان سعيدًا للغاية بمساعدة الموساد. وكان إفرايم هاليفي، رئيس الموساد فيما بعد، ضالعًا في هذه العملية: وأطلق عليها «عملية موسى».

ومن المفارقات أن العمل الرئيس لشركة طيران جوتلمان – شركة رحلات جوية مؤجَّرة تقدم رحلات منخفضة التكلفة – تمثل في نقل الحجاج المسلمين إلى مكة. وفي أثناء تنفيذ عملية موسى، ساعدت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (سي آي إيه) الموساد. وبهذه الطريقة هُرِّب 30 ألف يهودي إثيوبي إضافي إلى إسرائيل. لكن الجسر الجوي لعب دورًا جزئيًّا في سقوط نظام النميري، الذي اتُّهم بالتعاون مع إسرائيل. ولفترة قصيرة، حل محل النميري صديق إسرائيل القديم الصادق المهدي.

وأردف الكاتب قائلًا: «وسرعان ما وقع انقلاب عسكري آخر في الخرطوم، جاء بالجنرال عمر البشير إلى السلطة في عام 1989. وكان البشير متأثرًا تأثرًا عميقًا برجل دين مسلم ذي شخصية جذابة، يُدعى: حسن الترابي. حكم هذا الثنائي السودان، وحوَّلاها إلى دولة ثيوقراطية عسكرية. ووجد أسامة بن لادن ملاذه في السودان في الفترة من عام 1990 إلى عام 1996. وكوَّن السودان علاقات قوية مع إيران. وكانت النتيجة أن السودان سمح باستخدام أراضيه باعتباره نقطة عبور، ومرفقًا لتخزين الأسلحة التي يهربها فيلق القدس الإيراني إلى حركة حماس في غزة.

ولم تقف إسرائيل موقف المتفرج من ذلك. وابتداء من عام 2009 فصاعدًا، رد الموساد – الذي كان يقدم المعلومات – وسلاح الجو الإسرائيلي بسلسلة من الغارات الجوية ضد القوارب والشاحنات التي تحمل أسلحة إيرانية، وهاجمت إسرائيل مخازن الأسلحة على الأراضي السودانية. وفي العقد الماضي، تغير

مسار قطار العلاقات السودانية الإسرائيلية. وأعلنت المحكمة الجنائية الدولية أن الجنرال البشير مجرم حرب لدوره في ارتكاب جرائم إبادة جماعية في منطقة دارفور وفي جنوب السودان. وكان اللاجئون السودانيون الذين يهربون من الأعمال الوحشية يأملون في العثور على ملاذ لهم في إسرائيل؛ وكانوا يُعاملَون باعتبارهم طالبي لجوء بالطريقة الأكثر رسمية فقط، ولم يُعترف بأيٍّ منهم تقريبًا باعتبارهم لاجئين، والآن يأمل نتنياهو ومجلس وزرائه اليميني أن تكون الظروف مواتية لترحيلهم.

أضاف الكاتب قائلًا: «أعلن جنوب السودان، الذي عانى كثيرًا، استقلاله، وبدأ على الفور في شراء الأسلحة من إسرائيل، وفي مفارقة تاريخية أخرى، دخل أيضًا في حرب أهلية وارتكب أعمالًا وحشية. وتضاءل انجذاب الجنرال البشير نحو إيران، وبذلك، نُثِرت بذور تجدد العلاقات مع إسرائيل. وخان البشير إيران وتحالف مع المملكة العربية السعودية، وعزز من إعادة تموضعه بإرسال قوات سودانية للقتال في الحرب الأهلية في اليمن . ولفت الكاتب إلى أنه «بتشجيع من الانفتاح السعودي المزدهر على الدولة اليهودية، خلال السنوات الخمس الأخيرة، بدأ البشير في مغازلة إسرائيل. وكانت لديه ذريعة مواتية للغاية: كان يأمل أن يتمكن نتنياهو والموساد من الاستفادة من النفوذ السياسي لمنظمة آيباك (لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية) والمنظمات اليهودية الأمريكية لتخليصه من جرائمه التي تلاحقه، ورد اعتباره الشخصي؛ مقابل تكوين علاقات دبلوماسية مع إسرائيل. ووفقًا لتقارير أجنبية، في السنوات الأخيرة من حكم البشير، التقى رئيس الموساد يوسي كوهين بنظيره السوداني الجنرال صلاح قوش؛ لإجراء مناقشات أولية حول أحد أشكال العلاقات التجارية والدبلوماسية بين البلدين. لكن الاضطرابات الداخلية في السودان وموجات المعارضة الطويلة لحكمه كانت حجر عثرة في طريقه. عند هذه المرحلة، علم الموساد أن البشير أصبح حصاناً خاسرًا، وباتت أيامه في السلطة معدودة. وفي النهاية، أطيح به في نيسان 2019». وأشار الكاتب قائلًا: " والآن، وبعد رحيل البشير، قد تكون الظروف مهيأة لإحياء العلاقات بين القدس والخرطوم. ومن خلال الاستفادة من نفوذ الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ومختلف دول الخليج، جددت حكومة نتنياهو، في هدوء ولكن بلهفة، جهودها لتحويل السودان إلى دولة عربية سنية إقليمية صديقة لإسرائيل ". وفي الوقت الحالي، هناك طلب إسرائيلي فوري وبسيط ومعتاد: السماح للطائرات الإسرائيلية بالطيران فوق الأجواء

السودانية. ولن يكون هذا الأمر سهلًا بحسب المقال؛ إذ تحدَّت المعارضة السياسية السودانية موقف البرهان بمجرد تسريب خبر اجتماعه بنتنياهو، واتهموه بالتعاون مع «العدو»، بينما زعمت القيادة المدنية في البلاد أنهم لم يُبلغوا بالاجتماع مسبقًا. ودحض البرهان سهام النقد التي وُجِّهت إليه عن طريق التفكير المنطقي متعدد الأغراض موضحًا أنه التقى نتنياهو لتحقيق مصالح الشعب السوداني ورفاهيته، ومؤكدًا أن الانفراج (في العلاقات المتوترة مع إسرائيل) لا يقلل من دعمه للفلسطينيين.

على الجانب الداخلي، ألمح الكاتب إلى أن: «اهتمام نتنياهو السياسي المباشر كان مُنصبًّا على اجتذاب عناوين الصحف لتعزيز مكانته قبل الانتخابات. وفي الواقع، قال وزير الدفاع السابق موشيه يعلون، وهو زعيم للمعارضة المناهضة لنتنياهو: إن الحفاظ على سرية الاجتماع وعدم الإعلان عنه، من أجل تحقيق مكاسب سياسية داخلية قصيرة المدى، كان سيخدم المصالح الوطنية الإسرائيلية على نحو أفضل. ومن الواضح أن الجائزة الكبرى في رأي الكاتب ستكون: بدء علاقات تجارية ودبلوماسية رسمية. ومن المؤكد أنه مكسب على الصعيدَين الدفاعي والأمني أن يبتعد زعيم دولة معادية قبل بضع سنوات فقط مثل السودان علنًا عن إيران وحماس، ويهتم، رغم الحذر، بالتصالح مع إسرائيل».

واختتم الكاتب مقاله قائلًا: «يروق لنتنياهو التصريح بأن ذلك علامة أخرى واضحة على كيفية تغير الجغرافيا السياسية في الشرق الأوسط. ويوحي التاريخ المتعرج غير المتسق للعلاقات بين إسرائيل والسودان بأن هذا التغيير ذاته قد لا يكون سلسًا للغاية أو مستدامًا».

9 – إسرائيل وجعفر النميري وعدنان خاشقجي:

يشير يعقوب نمرودي، الذي شغل مراتبَ عليا في جهاز المخابرات الإسرائيلية (الموساد)، في مذكّراته إلى أنّ رجل الأعمال السعودي عدنان خاشقجي كان "عنواناً لكلّ إسرائيلي أو يهودي يبحث عن طرق للعالم العربي". ويتّضح من هذه المذكّرات أنّ عدنان خاشقجي كان له شأنٌ أساسي في إقامة العلاقات بين إسرائيل والرئيس السوداني جعفر النميري. ويكشف يعقوب نمرودي في مذكّراته النّقاب عن أنّ عدنان

خاشقجي أقام علاقاتٍ كثيرة ومتشعّبة مع كثير من الإسرائيليّين واليهود الأميركيين. وكان من بين الإسرائيليين الذين أقام عدنان خاشقجي علاقات متينة بهم دافيد كيمحي خلال الفترة التي شغل فيها كيمحي منصب رئيس مركز جهاز الموساد في باريس، و "تطوّرت العلاقات بين الاثنين وتوطّدت وسادت بينهما صداقة حقيقية". ففي منتصف عقد السّبعينيات من القرن الماضي توجّه يعقوب نمرودي إلى الجنرال الإسرائيلي (المتقاعد) رحبعام زئيفي، الذي كان قد أنهى لتوّه مهماته كمستشار في شؤون "الإرهاب" لرئيس الحكومة الإسرائيلية يتسحاق رابين، للعمل مع عدنان خاشقجي في مهمات أمنيّة وحراسة. استجاب رحبعام زئيفي لطلب يعقوب نمرودي وتمكّن خلال فترة وجيزة من كسب ثقة عدنان خاشقجي. وقام رحبعام زئيفي بإدارة مزرعة عدنان خاشقجي المترامية الأطراف في كينيا، ووظّف أكثر من أربعين إسرائيلياً في تشغيل المزرعة وحراستها. وعهد خاشقجي إلى رحبعام زئيفي أيضاً بمهمة الحفاظ على أمْن يخته الفاخر، وكلّفه بوضع أجهزة رقابة وتنصّت في اليخت كي يكون في إمكان عدنان خاشقجي مراقبة ضيوفه رفيعي المستوى من العرب وغير العرب، بشكل مباشر. وبطبيعة الحال كانت إسرائيل تشاركه في أشرطة الرقابة والتنصّت هذه.

أقام عدنان خاشقجي، من جهته ، علاقاتٍ وطيدةً برئيس السودان جعفر النميري منذ سبعينيات القرن الماضي. وفي أواخر السبعينيات أخبر خاشقجي صديقه وشريكه في كثير من المشاريع الاقتصادية والصفقات التجارية يعقوب نمرودي، أنّ وضع الرئيس السوداني جعفر النميري في داخل السودان خطير ويثير القلق، وأنّ "الأميركيين لا يقدّمون له المساعدة المرجوّة، والسعوديون يصدّونه. وكان كل ما تمكّن الأميركيون من استخلاصه من السعوديّين هو تمويلهم شراء طائرات أف–5 التي كانت حاجة النميري إليها أقلّ من جميع الأمور الأخرى؛ اما جميع خطط التنمية الاقتصاديّة الكبيرة الاخرى فلا تنفذ. وعلاوة على ذلك، كان ينبغي الاهتمام فوراً بحصول النميري على فريق أمْني أميركي يستقرّ في الخرطوم، لحفظ أمنه الشّخصي، مثلما أرسلت الولايات المتّحدة اثنين وأربعين شخصاً إلى القاهرة لحراسة أنور السادات ونظامه". وذكر يعقوب نمرودي أنّ عدنان خاشقجي من أجل مساعدة جعفر النميري والسودان، نظم في العام 1979 "زيارة لأصدقائه وشركائه الإسرائيليين إلى الخرطوم". فقد دعا عدنان خاشقجي خمسة

إسرائيليّين من مخضرمي الأجهزة الأمنيّة الإسرائيلية إلى الخرطوم للقاء جعفر النميري هم: يعقوب نمرودي ودافيد كيمحي وآل شفايمر ورحافيه فاردي وهانك غرينسبان. وفوْر وصولهم إلى الخرطوم من نيروبي، اجتمعوا إلى الرئيس السوداني جعفر النميري. وأشار يعقوب نمرودي في مذكّراته إلى أنّ الهدف من تلك الزيارة كان إقامة علاقات اقتصاديّة بين إسرائيل والسودان. ووصف يعقوب نمرودي شعوره الشخصي وشعور زملائه عند اجتماعهم إلى النميري بقوله: "كنّا وكأننا في حلم. كان من الصعب أن نصدّق أننا في السودان، في قصر أحد الحكام العرب المعروفين الذي كان يكرّر ترحابه بنا ويقدّم لنا الطعام، ويحدّثنا ويحضّنا على القيام بمشاريعَ مشتركة معه". وأضاف أنّ جعفر النميري أخبر ضيوفه الإسرائيليين بحاجته إلى المساعدة لتطوير اقتصاد بلاده، وأنه طلب إقامة علاقات اقتصادية مع إسرائيل بشكل دائم.

10- خاتمة :

فتحت "الشقوق" والانقسامات الكثيرة في السودان والصراعات على السلطة التي احتدمت فيه، وفي شماله بالدرجة الأولى الباب أمام التدخّل الإسرائيلي في السودان ، من دون أن تتطوّر أو تتبلور فيه أرضيّة وطنية. وفي كلّ مرحلة من مراحل التدخّل الإسرائيلي في السودان، جيرت إسرائيل تدخّلها لخدمة أهدافها الاستراتيجيّة لقاء تقديمها المال أو الرّشى للنّخب السودانية الشّمالية التي تعاملت معها. ففي الخمسينيات من القرن العشرين، أسّست إسرائيل هذا التدخّل على أرضية العمل ضدّ مصر بقيادة عبد الناصر. وقد قطع قادة حزب الأمّة السوداني في تلك الفترة شوطاً طويلاً في هذا التّحالف مع إسرائيل ضدّ مصر، قبل العدوان الثلاثي على مصر في العام 1956وفي أثنائه وبعده. وفي أواخر السبعينيات والنصف الأول من الثمانينيات، أقامت إسرائيل علاقات قويّة بالرئيس السوداني جعفر النميري ونظامه، إلى درجة سماح النميري لإسرائيل ليس بتهجير عشرات آلاف اليهود الفلاشا من الأراضي السودانية إلى إسرائيل فحسب، وإنما سماحه بإقامة قاعدة لجهاز المخابرات الإسرائيليّة (الموساد) في الخرطوم أيضاً . أمّا في شأن دعم إسرائيل لحركة التمرّد في جنوب السودان فإنّها أخضعت هذا الدعم لمصلحتها . فعندما كان دعم التمرّد

يخدمها، كما كان الأمر عليه في أواخر الستّينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي، أو لاحقاً في التسعينيات، فإنّها دعمته؛ ولكن عندما كان هذا الأمر لا يخدمها، لوجود خادم لها في رأس السّلطة في السودان، كما كان الوضع عليه في أواخر السّبعينيات وحتى منتصف الثّمانينيات، فإنّ إسرائيل أبتْ أن تقدّم الدعم للتمرّد في جنوب السودان.

لقد اهتمت إسرائيل منذ عقود طويلة بالسودان واستغلت الصراعات الداخلية فيه من أجل اختراقه وتجزئته، وإقامة علاقات مع الفئات المتناحرة فيه. فعند قيام إسرائيل، كان دافيد بن غوريون الذي رسَم نظرية الأمن الإسرائيلي وبلورَها يخشى بشدّة ظهور "كمال أتاتورك" عربي يوحّد العرب في مواجهة إسرائيل. وفي أعقاب ثورة 23 تموز 1952 في مصر، وتحوّل مطلب الوحدة العربية من فكرة نخبويّة إلى مشروع شامل يحظى بتأييد عارم من الشّعوب العربية، بدا لبن غوريون أنّ ما يخشاه قد ظهر فعلاً، فوجّه جلّ جهده لإفشال هذا المشروع وإسقاطه. واعتقد بن غوريون أنّ الخطر على إسرائيل يكمن في قلب الوطن العربي، أي في "دول الطوق" وخاصّةً مصر لضرب هذا المشروع العربي وحاضنته مصر، ورئيسها عبد الناصر قائد المشروع ورمزه، سعى بن غوريون للبحث عن "شقوق" في الجسد العربي وعن مصالحَ آنيّة وضيّقة مع نخب عربيّة، وعن "مصالح مشتركة" مع أقليّاتٍ عرقيّة أو طائفيّة في الوطن العربي. كما سعى لإقامة تحالف مع دول "الحزام" أو دول "الأطراف" أو "المحيط" الواقعة في أطراف الوطن العربي، ضدّ دول القلب المحاذية لفلسطين. وضمّت دول "الحزام" في الخمسينيات والستّينيات من القرن الماضي كلاً من تركيا وإيران الشاه وإثيوبيا وأيضاً السودان واليمن.

لقد رأت إسرائيل في السودان «عقدة شائكة» تتطلب علاجاً خاصاً، وبالأخص أنه يتشكل من ديانات وإثنيات متعددة، موزعة بين الشمال العربي والمسلم، والجنوب المسيحي، الأمر الذي يسهل عملية تقسيمه. بل إن رئيسة الوزراء الإسرائيلية السابقة، غولدا مائير، قررت العمل على هذا البلد والموافقة على طلب المساعدة التي تقدم بها الجنوبيون إلى تل أبيب في الستينيات، وهو المسعى الذي تكلل بالنجاح بعد أربعة عقود. وقد أكد سفير جنوب السودان في إسرائيل لدى تقديم أوراق اعتماده للرئيس الإسرائيلي، رؤفين ريفلين، في كانون الأول من العام الماضي، أن «جنوب السودان أقيم بفضلكم، ولقد ولد الجنوب بفضل

دولة إسرائيل والجنرال جون». والجنرال جون، هو الاسم المعروف لـــ«طرزان» في السودان، دافيد بن عوزئيل، «الشخص الذي أسّس جيش جنوب السودان وأشرف على تسليحه وتدريبه». ومنذ الستينيات، استمر الدعم العسكري ونقل الأسلحة والمعدات الحربية من إسرائيل إلى جنوب السودان، وهذه الأسلحة شملت بنادق ورشاشات وقنابل يدوية وألغاماً وصواريخ مضادة للدروع وأجهزة اتصال، وأيضاً ألبسة عسكرية هي في معظمها غنائم من حرب الأيام الستة من الجيشين المصري والسوري، عام 1967».

لقد اتت العلاقات الاسرائيلية السودانية في وقت مهم جدا. إذ لا تزال الحكومة الإسرائيلية منتشية بتقديم حليفها الأمريكي لما يعرف بـــ"صفقة القرن" ودفاعه المستميت عنها، فضلا عن أن التقارب الإسرائيلي – العربي أخذ دفعة جديدة بعد الزيارة التي قام بها نتنياهو إلى العاصمة العمانية مسقط، وتعدّد التقارير التي تشير إلى تنسيق إسرائيلي–عربي في ملفات متعددة، وأخيرا الاختراق الذي نجحت فيه إسرائيل داخل القارة الإفريقية وتقويتها لعلاقاتها مع عدة دول هناك، ومن ذلك تطلعها لأن تفتتح أوغندا سفارة لها في القدس. ويبقى السودان ذا أهمية استراتيجية بالغة لإسرائيل، فهو يقع في منطقة لها علاقات مع الأخيرة، سواء جارته الشمالية مصر، أو دول أخرى جارة في الجنوب كجنوب السودان وأوغندا وإريتريا. ومن شأن إدخال السودان إلى "مجموعة الشركاء" أن يعطي لإسرائيل دفعة قوية في توسيع حضورها الخارجي، فضلاً عن منافع اقتصادية كبيرة، منها مزاحمة قوى إقليمية، كتركيا والسعودية، تتسابق لكسب النفوذ في السودان.